١١ لويزا ألكوت

«اتخذت من كتابة الرواية مجرَّد مهرب من حياتى الشاقة المؤلمة»

الأديبة الأمريكية، صاحبة الريادة فى مجال الرواية.

وصاحبة الرواية الخالدة «نساء صغيرات» التى جلبت لها شهرة عالمية، فهى حتى وقتنا الحالى تجد رواجاً تجارياً هائلاً، كما أنَّها تحوَّلت إلى مسرحيات وأفلام سينمائية، وترجمت إلى عدة لغات عالمية.

لم تكن حياتها مريحة لذا فقد وجدت فى الكتابة الأدبية متنفساً مريحاً للهروب من واقعها المؤلم.

الميلاد وذكريات الطفولة:

ولدت الأديبة الأمريكية «لويزا ألكوت» Losisa Alcott فى عام 1832م بمدينة «جيرمان تاون» بولاية بنسلفانيا.

كان والدها يملك مدرسة ويديرها بنفسه. وكانت هذه المدرسة بمثابة المقر الذى قضت فيه «لويزا» طفولتها وشبابها.

وعلى الرغم من أنَّها تلقت تعليمها كلَّه على يدّ أبيها إلاَّ أن عقلها كان من النضج بحيث استقلت بتفكيرها وأصبحت لها نظرة خاصة فى الحياة. وقد أوجد هذا عندها إحساساً بالذنب تجاه أبيها، لأنَّها لم تُجله الإجلال الواجب الذى كان يتلقاه من إخوتها.

الحياة الصَّعبة .. متنفس للإبداع :

لم تكن حياة «لويزا ألكوت» مريحة اقتصادياً، بل اضطرت إلى القيام ببعض الأعمال اليومية لكي تساهم فى مصروفات البيت . ولكى تهرب من هذا الجو الكئيب المُحيط بها، لجأت إلى الكتابة الأدبية التى وجدت فيها متنفساً مُريحاً لكل ما يعتمل فى وجدانها من أفكار وصراعات ،جعل الكتابة عندها تتسم بالعفوية.

إبداع «لويزا ألكوت» الروائى :

كان أول كتاب صدر للمؤلِّفة هو كتاب بعنوان : «أساطير الورد» الذى كتبته فى السادسة عشر من عُمرها، ولكنه لم ينشر إلاَ فى عام 1854م عندما بلغت الثانية والعشرين من العُمْر .

رواية : لقطات من المستشفى :

اعتمدت على الخطابات التى أرسلتها «لويزا ألكوت» عندما عملت كممرضة، وهى خطابات زاخرة بصور حية لما رأته وشاهدته . صدرت هذه الرواية فى عام 1863م وكان عُمْرها آنذاك واحد وثلاثون عاماً. وهو أول عمل إبداعى لها يحوز على شهرة، حيث اعتمدت على مادتها على الخطابات التى أرسلتها عند عملها كمتطوعة فى المستشفى العسكرى بجورج تاون .

وكانت تلك الخطابات زاخرة بصورة حيّة ونابضة لكل ما تقع عليه عيناها داخل المستشفى. ومن خلال هذ العمل استطاعت «لويز ألكوت» أن تتعرَّف على إمكاناتها فى السرد والوصف .

رواية : نساء صغيرات :

أشهر روايات الكاتبة، تدور الأحداث حول أربع فتيات، لكل منهن شخصية مختلفة، تبدأ خيوط النسج الروائى فى التشابك بظهور فتى ثرى كان يرغب فى الزواج من إحداهن .

برزت إمكانات «لويزا ألكوت» بشكل كبير عندما أصدرت هذه الرواية التى تُعتبر أعظم عمل عُرفت به، والتى جلبت لها الشهرة والمال معًا . وقد استمرأت الكاتبة

نجاحها فأتبعتها بسلسلة روايات مشابهة، كانت كلّها موجهة إلى أجيال الشباب أساساً، ومع ذلك كان لها جمهور كبير من الشيوخ والكهول .

من الواضح أنّ المضمون الروائى عند «لويزا ألكوت» كان يعتمد أساساً على سيرتها الذاتية وحياتها الخاصة، فهذه الرواية تتخذ من شخصيات عائلتها مادة للمواقف والأحداث، بالضبط كما حدث مع روايتها «رجال صغار» حيث كانت تعتمد فى مادتها على حياة أبناء إخوتها .

تدور أحداث الرواية حول أربع فتيات صغيرات، كل منهن وضع خاص وشخصية مختلفة ومستقلة، فالبطلة «جو مارش» فتاة تميل إلى الحركات الاستعراضية والتصرُّفات الخشنة العنيفة، وترغب فى شق طريقها ككاتبة، أمَّا الأخت الكبرى «ميج مارش» فهى فتاة تتمتع بجمال ساخر آخاذ، وتتمنى أن تعيش حياتها كسيدة صالون من الطبقة المترفة الراقية، فى حين أن «بيث مارش» تبدو كفتاة خجولة، كما أنَّها تهوى الموسيقى التى تخلق لها عالماً عاطفياً خاصاً بها هى وحدها، بينما تأمل «إيمى مارش» أن تصبح نجمة سينمائية مشهورة حتى تشبع نزعتها الأنانية أو النرجسية فى إثبات ذاتها .

تبدأ خيوط النسج الروائى فى التشابك بدخول جارهم الشاب الثرى «ثيو دور لورانس» أو «لورى» كما كن يدللونه، كان هذا الفتى يرغب فى الزواج من «جو مارش»، ولكن تشاء الظروف أن يتزوج من شقيقتها «إيمى مارش»، بينما تتزوج «جو» من أستاذ جامعى كهل يُدعى «بهاير» . ولم يكن للرواية شكل فنى متكامل بحيث استطاعت المؤلفة أن تُضيف إليها ملاحق جديدة كلّما طرأت على بالها أفكار جديدة . كانت تظن «لويزا ألكوت» أن لذة السرد الروائى هى متعة كافية فى حد ذاتها للقارىء، ولذلك يتوقف إنجازها الأدبى عند هذه الحدود .

للأديبة «لويزا ألكوت» أعمال أخرى منها : «فتاة من طراز قديم» (1875م)، «رجال صغار» (1871م)، «حقيبة العم جو» (1872م)، «أبناء العمومة الثمانية» (1875م)، «تفتح الزهرة» (1876م)، «تحت ظلال الزنابق» (1878م)، «أبناء جو» (1886م).

مدى نجاح أو إخفاق «لويزا ألكوت» فى مجال كتابة الرواية :

لأنَّها رائدة فى مجال الرواية الأميريكية، فغالباً ما يتجاوز النُقَّاد عن أخطاء الروَّاد الذين لابد لهم من الاعتماد على مبدأ المحاولة والخطأ .

فالكاتبة «لويزا ألكوت» على الرغم من أنَّها لم تكن ذات وعى حاد وجاد بضرورات الشكل الفنى للعمل الروائى، ولم تكن لتفرق بين فن الرواية وأدب السيرة الذاتية، إلاَّ أنَّ البذور الأولى للفن الروائى كانت موجودة فى أعمالها مثل : الرسم الدقيق والحى للشخصيات. من السهل أن نجد هذه العناصر فى رواياتها، ولكن من النادر أن نجد ربطاً دراميا بينها بحيث يؤدى إلى الوحدة العضوية الموضوعية الذى يتميَّز بها الشكل الفنى الناضج .

مكانتها وتأثيرها الأدبى :

لا شك أن «لويزا ألكوت» مهدت الجو والطريق لِمَنْ جاء بعدها من الروائيين، وأوضحت لهم رواياتها بعض الأساليب الفنية فى إدارة الحوار وخلق الشخصيات وتطوير السرد .

وقد استفادت «لويزا ألكوت» أيضاً من قدرتها على قرض الشعر فى خلق الجو الموحى فى رواياتها وهنا يُضيف إلى رصيدها الريادى فى مجال الأدب الأمريكى بصفةٍ عامة .

نجاح روايات «لويزا ألكوت» ما يزال مستمراً :

ما زالت بعض روايات «لويزا ألكوت» رائجة تجارياً حتى وقتنا هذا وبعد مضى أكثر من مائة وخمسين سنة من تأليفها . بل تُرجم معظم هذه الرويات إلى أكثر من اثنتى عشرة لغة، منها اللغة العربية .

وتحوَّلت روايتها الخالدة «نساء صغيرات» إلى مسرحية نجحت نجاحاً ساحقاً، كما قدمت السينما الأمريكية هذه الرواية فى فيلمين عالميين حققا نجاحاً كاسحاً .

الرحيل :

توفيت «لويز ألكوت» عن عُمْر صغير نسبياً وهى فى السادسة والخمسين، وكان ذلك فى عام 1888م فى بوسطن، ومن عجائب القدر أن يكون يوم مماتها تحديداً هو نفس اليوم الذى تم فيه دفن جسد أبيها إلى مثواه الأخير !!